في وسط الطريق: قراءة نقدية في ومضة "بهلوان" لعصام الشريف

هيفاء حمودة

(بهلوان[7])

سائراً فوق حبلٍ مشدود، بين جبلين أنتظر عونكَ، لأنك دفعتني لهذا الطريق.. اختفيتَ وتركتني وحدي.

في درب من دروب حياتك، تجد أحدهم يرسم معك الطريق، يتبنى قناعاتك وتتوافق مع فلسفته.. يقنعك بأن هذا هو الطريق إلى الهدف الذي ستحققه ويحققه معك.. يعدك بالبقاء يداً بيد.. لكنه؛ وفي مساحة مكانية حرجة ومهمة، وفي موقف خطير وقاسٍ يتخلى عنك، ويتركك وسط الدرب وحدك تمتطي في الفراغ وعده المزعوم.. فتتزعزع ثقة الروح، ويتجرع الفكر كؤوس الخيبة..

---

[7] عصام الشريف. "8 ومضات قصصية". تذكرة للمسافات: ومضات أكتوبر 2015. دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني: ط1، نوفمبر 2015. ص 11-12. رابط تحميل الكتاب:
http://www.mediafire.com/?vuopzi8ocloic82

في العنوان..

قد يرسم لنا هذا العنوان السخرية المرّة التي تعاني منها الشخصية بعد أن تعلقت بحبال الوهم، أو بوعود تحتاج إلى قدرة على اجتياز الطريق..

في متن الحكاية

وهنا سأمر مروراً سريعاً على الومضة, حيث نراها تتألف من أربع جمل سردية لعب فيها المكان دوره في استحضار الصورة الشعورية للشخصية (الراوي)، فتبدأ الجملة الأولى باسم الفاعل (سائراً) ليوحي لنا فيما بعد بأن الطرف الأول –الذي هو الشخصية- مازالت على عهدها ماضية في الطريق، وهو هنا إيجابي.. ولكن هذا المسير حاصل (بين جبلين)، وعلى (حبل مشدود) أي أنه قابل للقطع.. فالمكان خطير، والمرحلة حرجة بل ومهمة. لقد لعب المكان هنا دوراً مهماً في التعبير عن دقة المرحلة.. والوقوف هنا يستدعي الترقب والانتظار انتظار الآخر ليلحق برفيقه (أنتظر عونك)، وفي ذلك إشارة إلى الوعود والعهود

المبرمة بين الطرفين، وهذا يحضر دائماً الشخصية الثانية الغائبة التي تخلت.. وفي الجملتين اللاحقتين حيث سيطر الفعل الماضي وأضفى على الصورة لهجة العتاب المرير وخيبة الأمل في داخل الشخصية الأولى (الراوي) وربما فيها لوم وعتاب لذات المتكلم الذي آمن بالوعود، وهي هنا اللحظة الشعورية الفارقة التي عبرت عن الحزن وخيبة الأمل.. (دفعتني.. اختفيت.. تركتني..)، وقبل هذا لدينا جملة التوكيد (لأنَّكَ) الدالة على أن الطرف الغائب كان يزرع في الوعد خيوط الثقة الحريرية.. وهذا الدور الذي لعبه (الفعل الماضي) المتلاحق في ذهن الشخصية (الراوي) ربما يدل على التساؤلات المؤلمة التي ولدتها لحظة الانتظار..

وهنا نجد التوفيق في اختيار المناسب منها في الومضة، فنقف على اللفظ (عونك) ولم يقل قدومك, أو وصولك.. والعون هنا دليل اعتماد الشخصية (الراوي) على الآخر بما اتفقا عليه.. أيضاً نجد الضمير(الكاف) للإشارة إلى أن الشخص حاضر في الصورة الوعد..

وكذا الفعل(دفعت)؛ فهو دليل على قوة الإقناع الذي قامت به الشخصية الغائبة .. والفعل (اختفيت) دليل المراوغة والتخلي المفاجئ .. (تركتني وحدي) هي لحظة تنخر في عظم الطريق وقد تحتاج الشخصية الراوي مدىً طال أم قصر لتستعيد توازنها وتغسل خيباتها، ولتقف على قدميها من جديد..

الومضة تحكي بتكثيف شديد تلك اللحظة المؤلمة التي قد نعانيها في دروب الحياة، وهي مروية بضمير المتكلم.. من خلال الراوي الشخصية البارزة وهناك الشخصية الثانية التي يتم الحديث عنها وهي فاعلة داخل الزمن..